الفصل الخامس
أنبياء الله ورسله

أنبياء الله فى القرآن الكريم: الأنبياء هم هداة البشرية، ورسل الحق، وصفوة الناس من خلقه، وهم النموذج الأكمل للإنسان، والقدوة الصالحة للأفراد خُلُقًا، وسلوكًا، وقد ذكر القرآن الكريم قصص بعض الأنبياء، ونلاحظ أنَّ هذا القصص سبعة أقسام:

القسم الأول: أنبياء لا نعرف عنهم شيئًا غير أسمائهم؛ فقد ذكرها القرآن الكريم دون أنْ يخبر عنهم بخبر، منهم: إدريس، وإسحاق، واليسع، وذو الكفل.

القسم الثانى: أنبياء روى القرآن الكريم مواقف من حياتهم، وأحداثًا تعرَّضوا لها، وهذه المواقف والأحداث من عمارة الأرض، والاستخلاف فيها، ولا علاقة لها بالعقيدة، منهم:

آدم عليه السلام؛ فبيَّن الله خلقه، وعلَّمه الأسماء كلَّها، وأمر الملائكة بالسجود له، وأسكنه الجنَّة، وعصى أمر ربِّه، ثمَّ تاب عليه وقبل توبته، بعد إخراجه من الجنَّة، وكرَّم الله بنيه، ومنهم بثَّ رجالاً كثيرا ونساءً.

إسماعيل عليه السلام؛ شارك أباه فى بناء البيت الحرام.

أيُّوب عليه السلام: ابتلاه الله بضر، فصبر، فكشفه الله عنه.

داود عليه السلام: هو نبى من أصحاب الكتب السماوية، فقد آتاه الله الزبور، وأصبح ملكا بعد أنْ قتل جالوت، وآتاه الله الحكمة، وألان له الحديد، وعلَّمه صناعة ألبسة الحرب، وسخَّر له الجبال والطير تسبِّح معه.

زكريَّا عليه السلام: كفل السيِّدة مريم.

يوسف عليه السلام: أبعده إخوته عن أبيهم حسدًا له، فألقوه فى الجب، وصحبه بعض السيَّارة إلى مصر، وباعوه للعزيز...

يونس عليه السلام: خرج مغاضبا لقومه، ابتلعه الحوت، ونجَّاه ربُّه.

القسم الثالث: أنبياء كانت رسالتهم مجرَّد الدعوة إلى توحيد الله، وعبادته وحده لا شريك له، ومنهم:

إلياس عليه السلام: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[1].

صالح عليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۘ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2].

هود عليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[3].

يحيى عليه السلام: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾[4]. القسم الرابع: أنبياء دعوا إلى توحيد الله، وفى الوقت نفسه روى القرآن الكريم بعضًا من أخبارهم، ومنهم:

نوح عليه السلام: فقد دعا قومه إلى عبادة الله وحده، ولبث فيهم ألف سنة إلاَّ خمسين عامًا، فما آمن له إلاَّ قليل، فأمره الله بأنْ يصنع سفينة تحمله ومن آمن معه، لينجوا من الغرق....

---

(١) سورة الصافات ٣٧: ١٢٣ ـ ١٢٦.

(٢) سورة الأعراف ٧: ٧٣.

(٣) سورة الأعراف ٧: ٦٥.

(٤) سورة مريم ١٩: ١٢.

إبراهيم الخليل عليه السلام: فقد دعا أباه وقومه إلى نبذ عبادة الأوثان، وعبادة الله وحده، وفى الوقت نفسه ذكر القرآن الكريم تحطيمه الأصنام، وحواره مع الملك "النمرود"، ومحاولة حرقه بالنار، ورحيله إلى الشام ومصر، ثمَّ وهب الله له إسماعيل على كبر، ورأى أنَّه يذبحه، ثمَّ افتداه الله بذبح عظيم، وبشره الله بإسحاق ومن ورائه يعقوب...

سليمان عليه السلام: وهبه الله ملكا عظيما، وسخَّر له الجنَّ والطير، والريح والشياطين كلُّها تأتمر بأمره، وعلَّمه منطق الطير، ودعا ملكة سبأ إلى الإيمان، فآمنت هى وقومها...

يعقوب عليه السلام: وصَّى أبناءه بعبادة الله، ورحل إلى مصر...

القسم الخامس: أنبياء بعثوا لإصلاح مجتمع خاص، ومحاربة آفة فيه، منهم:

شعيب عليه السلام: بعثه الله إلى أهل مدين يأمرهم بألا يبخسوا الناس أشياءهم وأنْ يوفوا الكيل والميزان.

لوط عليه السلام: بعثه الله إلى القرية الَّتى كانت تفعل الخبائث، يدعوهم إلى العلاقات الجنسيَّة السويَّة؛ فلا يأتون الذكران، ولا يفعلون الفاحشة.

القسم السادس: أنبياء تبع لغيرهم من الأنبياء، وعون لهم، ومنهم:

هارون عليه السلام: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾[1].

القسم السابع: الأنبياء أصحاب الشرائع الكبرى، وهم ثلاثة فقط: موسى، وعيسى، ومحمد ﷺ فقد كانت رسالاتهم دستورًا شاملاً لكل جوانب الحياة الإنسانية فكريًّا، وثقافيًّا، واقتصاديًّا، واجتماعيًّا...

ولمَّا كانت جميع الرسالات من عند الله الواحد الأحد، وكلُّها تحمل كتابًا فيه بلاغ للناس بالهداية والحق فمن المؤكَّد أنَّها جميعا تسير فى الطريق المستقيم، طريق الله،

---

(١) سورة الفرقان ٢٥: ٣٥.

تتعاون وتتآزر، ولا يمكن أنْ تتناقض أبدًا، فإذا وجدنا تناقضًا بين ما جاء فى القرآن الكريم وما يدَّعيه أهـل الكتاب من نصوص دينيَّة مقدَّسة عندهم حكمنا بتحريف تلك النصوص، وتبديلها، ونزعنا عنها صفة القداسة؛ لما تدَّعيه من كذب على الله، وخروج عن شريعته.

ولأنَّ الأنبياء هم هداة البشرية، والقدوة الطيبَّة الَّتى يجب أنْ يتأسَّى بها الناس فإنَّ الله ﷻ يختارهم من أفضـل مخلوقاته: قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[1] وهم يتصِّفون بالصفات الكريمة والأخلاق الحميدة.

وإذا نظرنا إلى صورة أنبياء الله ورسله فى القرآن الكريم وفى الشريعة الخطيَّة جبهتنا حقيقة مفجعة، فالصورتان تتناقضان تناقضًا صارخًا، فلا بدَّ أنْ تكون إحدى الصورتين صحيحة، والأخرى باطلة، وسوف أضع الصورتين أمام القارئ الكريم، وأترك له الحكم والاختيار بحسب ما تهديه إليه فطرته السليمة، وخلقه الرَّضِى.

أنبياء الله ورسله فى القرآن الكريم:

أوَّل ما أكَّده القرآن الكريم فى أمر النبوَّة أنَّهم جميعًا مبعوثون من عند الله، وأنَّ الإيمان بهم جميعًا واجب، فلا تفرقة بينهم، قال تعالى:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[2].

وتكرَّرت دعوة الله ﷻ المؤمنين إلى الإيمان بما جاء به الرسل من غير تفريق بينهم فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم ووَعَدَهم حسن الجزاء، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ

---

(١) سورة الحج ٢٢: ٧٥.

(٢) سورة البقرة ٢: ٢٨٥.

ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1].

بعث الله الرسل ليرشدوا الناس إلى عبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾[2].

وحذَّرهم من الشرك به، ومن ادّعاء الألوهيَّة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3]، ولذلك شدَّد القرآن الكريم النكير على اليهود الَّذين زعموا أنَّ عُزَيْرًا ابن الله، وكفَّر النصارى الَّذين قالوا: إنَّ المسيح ابن الله واتَّخذوا من أحبارهم ورهبانهم أربابًا يعبدونهم من دون الله، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[4].

إنَّ تأليه المسيح وعبادته هى العقيدة الَّتى يدين بها المسيحيُّون على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم ونِحَلهم، والعجيب أنَّ الشريعة الخطيَّة بعهديها القديم والجديد، وبكل أسفارها فى نسختى البروتستانت والكاثوليك لا يوجد فيها نص صريح يدَّعى فيه المسيح أنَّه إله أو أنَّه ابن إله، وليس فيها دعوة منه إلى أنْ يعبده الناس من دون الله.

وما يحاجُّ به المسيحيُّون دفاعا عن عقيدتهم هو ما جاء فى أحد بشائرهم منسوبا للمسيح قوله: " ٣٠ أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ! "[5]، ومن سياق النص يتبيَّن أنَّ المسيح عليه السلام

---

(١) سورة النساء ٤: ١٥٢.

(٢) سورة النحل ١٦: ٢.

(٣) سورة الأنبياء ٢١: ٢٩.

(٤) سورة التوبة ٩: ٣٠ ـ ٣١.

(٥) بشارة يوحنا ١٠: ٣٠.

كان يهزأ باليهود الَّذين اتهموه بالكفر والتجديف، وأحاطوا به وهم يلوِّحون بأصابعهم فى وجهه مهدِّدين، وتناولوا حجارة ليرجموه بها، قائلين له: لسنا نرجمك لأجل عملٍ حسنٍ بل لأنَّك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا، ودافع المسيح عن نفسه قائلا لهم: " أليس مكتوبا فى ناموسكم " ٦ أَنَا قُلْتُ: « إِنَّكُمْ آلِهَةٌ، وَجَمِيعَكُمْ بَنُو الْعَلِيِّ." [(١)]، فإذا كان الرجال الصالحون الأتقياء ـ وهم أنبياء الله ـ يخاطبون فى كتابكم بأنَّهم آلهة، فلماذا تعترضون علىَّ أنا إذا كان ادِّعائى الوحيد لنفسى أنِّى "ابن الله" وهو أقل بكثير من تسمية الآخرين "آلهة" بواسطة الله نفسه؟ وحتَّى لو وصفت نفسى بأنَّنى "إله" فلا جناح علىَّ بحسب لغتكم.

اليهود والمسيحيُّون إذن متفقون على أنَّ هذا التصريح خطير، وفَهِمَه كل من الطائفتين فهما مختلفًا:

۞ فاليهود اعتبروه كفرا، واتَّخذوه ذريعة للخلاص من المسيح، وقتله.

۞ والمسيحيُّون اعتبروه حقيقة، وأنَّ المسيح هو الله، أو هو ابن الله، واتخذوه ذريعة للتخلُّص المفيد من الخطيئة[(٢)].

ويقول الشيخ أحمد ديدات: "إنَّ القول بأنَّ يسوع (عيسى عليه السلام) هو الله ليس فقط استهزاءً بالألوهيَّة، ولكنه أيضًا من أحطِّ مراتب الكفر وإهانة للذكاء الإنسانى"[(٣)]، وصرَّح القرآن الكريم بأنَّ سيِّدنا عيسى ابن مريم عليه السلام برىء من تهمة ادِّعاء الألوهية، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[(٤)].

---

(١) مزامير ٨٢: ٦.

(٢) هل المسيح هو الله، مكتبة ديدات ١ / ١٣٥ ـ ١٣٨.

(٣) المدر السابق ١ / ٤٤.

(٤) سورة المائدة ٥: ١١٦ ـ ١١٧.

ويبيّن القرآن الكريم أنَّ جوهر الرسالات السماويَّة جميعها بعد الدعوة إلى عبادة الله وحده هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لِمَا فيهما من صلاح المجتمع، وحفظ حقوق الناس، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

ولو تتبعنا آيات القرآن الكريم لنستخلص منها صفات الرسل الكرام لوجدناها كالآتى:

۞ طاعة الله وعبادته وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[3].

۞ التواضع والرفق والتسامح؛ فهم يخشون الله ويخافون عذابه، قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾[4].

۞ التحلِّى بالخلق الكريم، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[5].

۞ الجهاد فى سبيل الله، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[6].

۞ التمسك بالحق؛ فلا هوادة، ولا مساومة فى أوامر الله، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ

---

(١) سورة آل عمران ٣: ١٠٤.

(٢) سورة الأنعام ٦: ٥٦.

(٣) سورة الزمر ٣٩: ١١.

(٤) سورة الفرقان ٢٥: ٦٣ ـ ٦٥.

(٥) سورة القلم ٦٨: ٤.

(٦) سورة التوبة ٩: ٧٣، وسورة التحريم ٦٦: ٩.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1].

۞ الصدق قال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[2].

۞ العصمة؛ فرسل الله منزَّهون عن الفواحش والآثام، وهم معصومون من الخطأ والغفلة والنسيان، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[3].

وإنَّها لصورة كريمة مشرقة لرسل الله الصالحين الطيبين الطاهرين إنَّها الصورة الَّتى صوَّر بها القرآن الكريم أنبياء الله، وفى مقابل هذه الصورة الصادقة نجد الشريعة الخطيَّة ترسم لنا صورة أخرى تناقضها، وتخالفها، فما الصورة المقابلة؟

أنبياء الله ورسله فى الشريعة الخطيَّة:

تصوّر الشريعة الخطيَّة أنبياء الله ورسله فى صورة البشر العاديين تماما بكل ما فيهم من عيوب ونقائص، وتنْزع عنهم العصمة، بل تجعلهم أسوأ من البشر العاديين؛ فهم يسكرون، ويزنون، ويكذبون، ويخدعون لكسب المال الحرام، ويتاجرون بشرفهم، ويتنابذون بالألقاب ويفرِّقون بين الناس فى المعاملة، ويكذِّب بعضهم بعضا، بل يرتكبون ما هو أدهى وأمر من كل ذلك وأعنى به "الشرك بالله، وعبادة الأوثان"؛ وهو ما يتناقض مع رسالتهم، وينفى عنهم صفة النبوَّة.

تبدو هذه النظرة للأنبياء منسجمة تماما مع صورة الإله فى تصورهم؛ فنحن لا ننتظر الكمال من رسل إله ناقص، وسأضرب أمثلة لهذه النقائص، ثم أوضح مفهوم النبوة عند اليهود.

١ ـ الشرك بالله: وهو ظاهرة تتكرر كثيرا فى الأسفار اليهوديَّة، ومن أمثلته:

---

(١) سورة يونس ١٠: ١٥.

(٢) سورة يس ٣٦: ٥٢.

(٣) سورة النجم ٥٣: ٣ ـ ٤.

أ ـ تأخَّر موسى ﷺ فى النُّزول من الجبل، فاجتمع الشعب على هارون ﷺ، " وقالوا له: قم فاصنع لنا آلهة تسير أمامنا، فإنَّ موسى ذلك الرجل الَّذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه، فقال لهم هارون: انْزعوا حلقات الذَّهب الَّتى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأْتُونِى بها... فأخذها وصبَّها فى قالب، وصنعها عجلاً مسبوكًا فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل الَّتى أصعدتك من أرض مصر، فلمَّا رأى هارون ذلك بنى مذبحا أمام العجل، ونادى قائلاً: غدًا عيد للرب، فبكَّروا فى الغد، وأصْعِدُوا مُحْرَقَات وقرَّبُوا ذبائح سَلاَمِيَّة، وجلس الشعب يأكل، ويشرب، ثم قام يلعب "[1].

ب ـ كان لسليمان ﷺ نساء كُثُر فأزاغت نساؤه قلبَه " وتبع سليمان عشتاروت إلاهة الصيدونيين، ومِلْكوم قبيحة بنى عمُّون، وصنع سليمان الشر فى عينى الرب، ولم يتَّبع الربَّ اتباعا تامًّا مثل داود أبيه، حينئذ بنى سليمان مَشْرَفًا لكاموش قبيحة موآب، فى الجبل الَّذى شرقى أورشليم، ولِمولَك قبيحة بنى عَمُّون، وكذلك صنع لجميع نسائه الغريبات اللَّواتى كُنَّ يُحْرقن البخور، ويذبحن لآلهتهنَّ "[2].

٢ ـ الزنا: وهو أظهر الموبقات فى سيرة أنبياء اليهود؛ بل لا نكاد نجد واحدًا منهم عفَّ الفرج نقى الإزار، ومن أمثلة ذلك:

أ ـ نجَّى الله ﷻ سيِّدنا لوطا ﷺ من القرية الفاسق أهلها، فأقام فى مغارة هو وابنتاه، وزعم كاتب السفر اليهودى أنَّ البنتين اتفقتا على أنْ تسقيا أباهما خمرا، وتضاجعاه، ونفذتا اتفاقهما فحملت الكبرى من أبيها وأنجبت مُؤَاب " وهو أبو المؤابيين "، وحملت الصغرى من أبيها، وأنجبت بَنعَمِّى " وهو أبو بنى عَمُّون "[3].

ب ـ رَءُوبين ضاجع " بِلْهَةَ " سُرِّيَّة أبيه إسرائيل[4].

---

(١) خروج ٣٢، ١ ـ ٦.

(٢) الملوك الأول ١١، ٥ ـ ٨.

(٣) تكوين ١٩، ٣٠ ـ ٣١، وانظر تعليقنا على هذا الخبر فى الفصل التالى.

(٤) تكوين ٣٥: ٢١ ـ ٢٢.

جـ ـ رأى يهوذا كَنَّته وقد غطَّت وجهها بخمار، فحسبها بغيًّا، وزنى بها، وأعطاها أجرها، ولمَّا حملت، وذاع أمرها بعد ثلاثة أشهر، أمر يهوذا بإحراقها ولمَّا علم أنَّه هو الزانى، وأنَّه هو أبو التوءمين القادمين فارَص وزارَح شكر لها صنيعها إذْ أنجبت لابنه المتوفى منه !!![1].

د ـ وداود عليه السلام زنى بامرأة أوريَّا، وحملت بالزنا منه[2].

هـ ـ الله يأمر هوشع بأنْ يتزوَّج بغيًّا " ١ هَذِهِ هِى كَلِمَةُ الرَّبِّ الَّتِى أَوْحَى بِهَا إِلَى هُوشَعَ بْنِ بِئِيرِى فِى أَيَّامِ عُزِّيَّا وَيُوثَامَ وَآحَازَ وَحَزَقِيَّا مُلُوكِ يَهُوذَا، وَفِى أَيَّامِ يَرُبْعَامَ بْنِ يُوآشَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ.

٢ وَأَوَّلُ مَا خَاطَبَ الرَّبُّ بِهِ هُوشَعَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: «اذْهَبْ وَتَزَوَّجْ مِنْ عَاهِرَةٍ، تُنْجِبُ لَكَ أَبْنَاءَ زِنًى، لأَنَّ الأَرْضَ قَدْ زَنَتْ إِذْ تَرَكَتِ الرَّبَّ».

٣ فَمَضَى هُوشَعُ وَتَزَوَّجَ جُومَرَ بِنْتَ دِبْلاَيِمَ، فَحَمَلَتْ وَأَنْجَبَتْ لَهُ ابْناً.

٤ فَقَالَ الرَّبُّ لَهُ: «ادْعُ اسْمَهُ يَزْرَعِيلَ، لأَنِّى مُوشِكٌ أَنْ أَقْضِى عَلَى بَيْتِ يَاهُو انْتِقَاماً لِدَمِ يَزْرَعِيلَ، وَأُبِيدَ مَمْلَكَةَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ.

٥ فِى ذَلِكَ الْيَوْمِ أُحَطِّمُ قَوْسَ إِسْرَائِيلَ فِى وَادِى يَزْرَعِيلَ».

٦ ثُمَّ حَمَلَتْ ثَانِيَةً فَأَنْجَبَتِ ابْنَةً، فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «سَمِّهَا لُورُحَامَةَ (وَمَعْنَاهُ: لاَ رَحْمَةَ) لأَنِّى لاَ أَعُودُ أَرْحَمُ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ وَلَنْ أَصْفَحَ عَنْهُمْ. ٧ وَلَكِنِّى أَرْحَمُ بَيْتَ يَهُوذَا وَأُخَلِّصُهُمْ بِقُوَّتِى أَنَا الرَّبُّ إِلَهُهُمْ. لَنْ أُنْقِذَهُمْ بِقَوْسٍ أَوْ بِسَيْفٍ، وَلاَ بِحَرْبٍ وَلاَ بِخَيْلٍ أَوْ فُرْسَانٍ».

٨ وَبَعْدَ أَنْ فَطَمَتْ «لُورُحَامَةَ» حَمَلَتْ وَأَنْجَبَتِ ابْناً. ٩وَقَالَ الرَّبُّ: «سَمِّهِ لُوعَمِّى (وَمَعْنَاهُ: لَيْسَ شَعْبِي) لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ شَعْبِى وَأَنَا لَسْتُ إِلَهَكُمْ." [3].

---

(١) تكوين ٣٨، ١٢ ـ ١٣ .

(٢) صموئيل الأول ٢١: ٢١ ـ ٢٢.

(٣) هوشع ١: ١ ـ ٨.

٣ ـ السكر: ليس فى أنبيائهم إلاَّ سكِّير، والخمر عندهم من شعائر العبادة، وقد مر بنا أنَّ نوحا سكر ودعا على ابنه، وأنَّ لوطا سكر وزنا بابنتيه...

٤ ـ الكذب و الاتجار بالشرف: وأمثلته لا حصر لها، وقد نسبوا إلى الخليل إبراهيم عليه السلام هذه المعانى الحقيرة، ليربح من وراء ذلك مالا، ولم يكتف مؤلف هذا السفر بالكذب على خليل الرحمن بل يكذب على المصريين أيضًا، فالتاريخ يحدِّثنا أنَّ ملوك مصر كانوا يتزوجون زواجًا مقدسا من داخل الأسرة المالكة، لا من الرعايا، ولم تكن السريَّات شائعة فى بيت فرعون، ولا أعرف من أين لهذا المؤلف الذكى العلم بأنَّ المرأة إنْ كانت أختًا للرجل أبقت على حياته، وإنْ كانت زوجًا له هلك ومات !!! " ١٠ وَعَمَّتْ تِلْكَ الْبِلاَدَ مَجَاعَةٌ، فَانْحَدَرَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ فِيهَا لأَنَّ الْمَجَاعَةَ كَانَتْ شَدِيدَةً فِي الأَرْضِ. ١١ وَمَا إِنِ اقْتَرَبَ مِنْ تُخُومِ مِصْرَ حَتَّى قَالَ لِزَوْجَتِهِ سَارَايَ: «أَنَا أَعْرِفُ أَنَّكِ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ، ١٢ فَمَا إِنْ يَرَاكِ الْمِصْرِيُّونَ حَتَّى يَقُولُوا: هَذِهِ هِيَ زَوْجَتُهُ فَيَقْتُلُونَنِي وَيَسْتَحْيُونَكِ. ١٣ لِذَلِكَ قُولِي إِنَّكِ أُخْتِي، فَيُحْسِنُوا مُعَامَلَتِي مِنْ أَجْلِكِ وَتَنْجُوَ حَيَاتِي بِفَضْلِكِ».

١٤ وَلَمَّا اقْتَرَبَ أَبْرَامُ مِنْ مِصْرَ اسْتَرْعَى جَمَالُ سَارَايَ أَنْظَارَ الْمِصْرِيِّينَ، وَشَاهَدَهَا أَيْضاً رُؤَسَاءُ فِرْعَوْنَ فَأَشَادُوا بِهَا أَمَامَهُ. فَأُخِذَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ. ١٦ فَأَحْسَنَ إِلَى أَبْرَامَ بِسَبَبِهَا وَأَجْزَلَ لَهُ الْعَطَاءَ مِنَ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ وَالْحَمِيرِ وَالْعَبِيدِ وَالإِمَاءِ وَالأُتُنِ وَالْجِمَالِ. ١٧ وَلَكِنَّ الرَّبَّ ابْتَلَى فِرْعَوْنَ وَأَهْلَهُ بِبَلاَيَا عَظِيمَةٍ بِسَبَبِ سَارَايَ زَوْجَةِ أَبْرَامَ. ١٨ فَاسْتَدْعَى فِرْعَوْنُ أَبْرَامَ وَسَأَلَهُ: «مَاذَا فَعَلْتَ بِي؟ لِمَاذَا لَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّهَا زَوْجَتُكَ؟ ١٩ وَلِمَاذَا ادَّعَيْتَ أَنَّهَا أُخْتُكَ حَتَّى أَخَذْتُهَا لِتَكُونَ زَوْجَةً لِي؟ وَالآنَ هَا هِيَ زَوْجَتُكَ، خُذْهَا وَامْضِ فِي طَرِيقِكَ». ٢٠ وَأَوْصَى فِرْعَوْنُ رِجَالَهُ بِأَبْرَامَ، فَشَيَّعُوهُ وَامْرَأَتَهُ وَكُلَّ مَا كَانَ يَمْلِكُ. "[1].

وتتكرر هذه القصة بكل تفاصيلها مع سيِّدنا إسحاق عليه السلام وزوجه رفقة " ١ وَحَدَثَ فِي الأَرْضِ جُوعٌ غَيْرُ الْجُوعِ الأَوَّلِ الَّذِي كَانَ فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ، فَارْتَحَلَ إِسْحَقُ

(١) تكوين ١٢: ١ ـ ٢٠.

إِلَى مَدِينَةِ جَرَارَ حَيْثُ أَبِيمَالِكُ مَلِكُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. ٢ فَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ قَائِلاً: «لاَ تَمْضِ إِلَى مِصْرَ، بَلُ امْكُثْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أُعَيِّنُهَا لَكَ. ٣ أَقِمْ فِي هَذِهِ الأَرْضِ فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ، لأَنَّنِي أُعْطِي لَكَ وَلِذُرِّيَّتِكَ جَمِيعَ هَذِهِ الأَرْضِ وَفَاءً بِقَسَمِي الَّذِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ. ٤ وَأُكَثِّرُ ذُرِّيَّتَكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَأُعْطِيهَا جَمِيعَ هَذِهِ الْبِلاَدِ. وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ. ٥ لأَنَّ إِبْرَاهِيمَ أَطَاعَ قَوْلِي، وَحَفِظَ أَوَامِرِي وَوَصَايَايَ وَفَرَائِضِي وَشَرَائِعِي». ٦ فَأَقَامَ إِسْحقُ فِي مَدِينَةِ جَرَارَ.

٧وَعِنْدَمَا سَأَلَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَنْ زَوْجَتِهِ قَالَ: «هِيَ أُخْتِي» لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَقُولَ: «هِيَ زَوْجَتِي» لِئَلاَّ يَقْتُلَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ أَجْلِ رِفْقَةَ، لأَنَّهَا كَانَتْ رَائِعَةَ الْجَمَالِ. ٨ وَحَدَثَ بَعْدَ أَنْ طَالَ مُكُوثُهُ هُنَاكَ، أَنَّ أَبِيمَالِكَ مَلِكَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ أَطَلَّ مِنَ النَّافِذَةِ، فَشَاهَدَ إِسْحقَ يُدَاعِبُ امْرَأَتَهُ رِفْقَةَ. ٩ فَاسْتَدْعَاهُ إِلَيْهِ وَقَالَ: «إِنَّهَا بِالْحَقِيقَةِ زَوْجَتُكَ، فَكَيْفَ قُلْتَ هِيَ أُخْتِي؟» فَأَجَابَ إِسْحقُ: «لأَنِّي قُلْتُ: لَعَلِّي أُقْتَلُ بِسَبَبِهَا». ١٠ فَقَالَ أَبِيمَالِكُ: «مَا هَذَا الَّذِي فَعَلْتَ بِنَا؟ لَقَدْ كَانَ يَسِيراً عَلَى أَي وَاحِدٍ مِنَ الشَّعْبِ أَنْ يَضْطَجِعَ مَعَ زَوْجَتِكَ فَتَجْلِبُ بِذَلِكَ عَلَيْنَا إِثْماً». ١١ وَأَنْذَرَ أَبِيمَالِكُ كُلَّ الشَّعْبِ قَائِلاً: «كُلُّ مَنْ يَمَسُّ هَذَا الرَّجُلَ أَوْ زَوْجَتَهُ فَحَتْماً يَمُوتُ». (١)

٥ ـ الغدر والخداع: وأكثر أنبيائهم يتحلَّون بهاتين الصفتين الذميمتين، ومن أمثلتهما:

۞ رفقة خدعت زوجها ليبارك يعقوب بدلا من عيسو(٢).

۞ لابان يخدع ابن أخته يعقوب الَّذى خدعه بدوره؛ فخدعة لابان هى

١٥وَقَالَ لاَبَانُ لِيَعْقُوبَ: «هَلْ لأَنَّكَ قَرِيبِي تَخْدُمُنِي مَجَّاناً؟ أَخْبِرْنِي مَا أُجْرَتُكَ؟» ١٦وَكَانَ لِلاَبَانَ ابْنَتَانِ، اسْمُ الْكُبْرَى لَيْئَةُ وَاسْمُ الصُّغْرَى رَاحِيلُ، ١٧وَكَانَتْ لَيْئَةُ ضَعِيفَةَ الْبَصَرِ، وَأَمَّا رَاحِيلُ فَكَانَتْ جَمِيلَةَ الصُّورَةِ وَحَسَنَةَ الْمَنْظَرِ. ١٨فَأَحَبَّ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ. وَأَجَابَ يَعْقُوبُ خَالَهُ: «أَخْدِمُكَ سَبْعَ سِنِينَ لِقَاءَ زَوَاجِي بِرَاحِيلَ ابْنَتِكَ

(١) سفر التكوين ٢٦: ٧ ـ ١١.
(٢) تكوين ٢٧: ١.

الصُّغْرَى». ١٩فَقَالَ لاَبَانُ: «أَنْ أُزَوِّجَهَا مِنْكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ أُزَوِّجَهَا مِنْ رَجُلٍ آخَرَ، فَامْكُثْ عِنْدِي». ٢٠فَخَدَمَ يَعْقُوبُ سَبْعَ سَنَوَاتٍ لِيَتَزَوَّجَ مِنْ رَاحِيلَ بَدَتْ فِي نَظَرِهِ كَأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ، لِفَرْطِ مَحَبَّتِهِ لَهَا.

٢١ ثُمَّ قَالَ يَعْقُوبُ لِلاَبَانَ: «أَعْطِنِي زَوْجَتِي لأَنَّ خِدْمَتِي قَدْ كَمُلَتْ فَأَدْخُلَ عَلَيْهَا». ٢٢فَجَمَعَ لاَبَانُ سَائِرَ أَهْلِ النَّاحِيَةِ وَأَقَامَ لَهُمْ مَأْدُبَةً. ٢٣وَعِنْدَمَا حَلَّ الْمَسَاءُ حَمَلَ ابْنَتَهُ لَيْئَةَ وَزَفَّهَا إِلَيْهِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا ٢٤وَوَهَبَ لاَبَانُ زِلْفَةَ جَارِيَتَهُ لِتَكُونَ جَارِيَةً لابْنَتِهِ لَيْئَةَ. ٢٥وَفِي الصَّبَاحِ اكْتَشَفَ يَعْقُوبُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ بِلَيْئَةَ، فَقَالَ لِلاَبَانَ: «مَاذَا فَعَلْتَ بِي؟ أَلَمْ أَخْدِمْكَ سَبْعَ سَنَوَاتٍ لِقَاءَ زَوَاجِي مِنْ رَاحِيلَ؟ فَلِمَاذَا خَدَعْتَنِي؟». ٢٦فَأَجَابَهُ لاَبَانُ: «لَيْسَ مِنْ عَادَةِ بِلاَدِنَا أَنْ نُزَوِّجَ الصَّغِيرَةَ قَبْلَ الْبِكْرِ. ٢٧أَكْمِلْ أُسْبُوعَ لَيْئَةَ ثُمَّ نُزَوِّجُكَ مِنْ رَاحِيلَ، لِقَاءَ خِدْمَتِكَ لِي سَبْعَ سِنِينَ أُخَرَ». ٢٨ فَوَافَقَ يَعْقُوبُ، وَأَكْمَلَ أُسْبُوعَ لَيْئَةَ، فَأَعْطَاهُ لاَبَانُ رَاحِيلَ ابْنَتَهُ زَوْجَةً أَيْضاً. ٢٩ وَوَهَبَ لاَبَانُ بِلْهَةَ جَارِيَتَهُ لِتَكُونَ جَارِيَةً لابْنَتِهِ رَاحِيلَ. ٣٠فَدَخَلَ يَعْقُوبُ عَلَى رَاحِيلَ أَيْضاً، وَأَحَبَّ رَاحِيلَ أَكْثَرَ مِنْ لَيْئَةَ. وَخَدَمَ خَالَهُ سَبْعَ سِنِينَ أُخَرَ.[1].

وأمَّا خدعة يعقوب فهي: ١٧ فَقَامَ يَعْقُوبُ وَحَمَلَ أَوْلاَدَهُ وَنِسَاءَهُ عَلَى الْجِمَالِ، ١٨ وَسَاقَ كُلَّ مَاشِيَتِهِ أَمَامَهُ وَجَمِيعَ مُقْتَنَيَاتِهِ الَّتِي اقْتَنَاهَا فِي سَهْلِ أَرَامَ وَاتَّجَهَ إِلَى إِسْحقَ أَبِيهِ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. ١٩ وَكَانَ لاَبَانُ قَدْ مَضَى لِيَجُزَّ غَنَمَهُ، فَسَرَقَتْ رَاحِيلُ أَصْنَامَ أَبِيهَا. ٢٠ وَكَذَلِكَ خَدَعَ يَعْقُوبُ لاَبَانَ الأَرَامِي فَلَمْ يُخْبِرْهُ بِقَرَارِهِ ٢١ فَهَرَبَ هُوَ وَكُلُّ مَا مَعَهُ، وَانْطَلَقَ عَابِراً النَّهْرَ مُتَوَجِّهاً نَحْوَ جَبَلِ جِلْعَادَ.[2].

٦ ـ الخصام والعراك: فكثير من أنبيائهم يكذِّب بعضهم بعضا، ويعتدى عليه بالضرب، ومن أمثلته:

۞ ما جرى لإرميا مع فشحور: " وَسَمِعَ الْكَاهِنُ فَشْحُورُ بْنُ إِمِّيرَ الَّذِي كَانَ النَّاظِرَ الأَوَّلَ عَلَى بَيْتِ الرَّبِّ إِرْمِيَا يَتَنَبَّأُ بِهَذِهِ الأُمُورِ، ٢فَضَرَبَ فَشْحُورُ إِرْمِيَا النَّبِي

---

(١) تكوين ٢٩: ١٥ ـ ٣٠.

(٢) تكوين ٣١: ١٧ ـ ٢١.

وَزَجَّهُ فِى الْمِقْطَرَةِ الَّتِى بِبَابِ بَنْيَامِينَ الأَعْلَى الَّذِى عِنْدَ هَيْكَلِ الرَّبِّ. ٣وَفِى الْيَوْمِ الثَّانِى عِنْدَمَا أَخْرَجَ فَشْحُورُ إِرْمِيَا مِنَ الْمِقْطَرَةِ، قَالَ لَهُ إِرْمِيَا: إِنَّ الرَّبَّ لَمْ يَدْعُ اسْمَكَ فَشْحُورَ، بَلْ مَجُورَ مِسَّابِيبَ (أَيْ: رُعْباً مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ)."[1].

أنَّ الكاهن فشحور بن إمِّير وهو الرئيس الأول فى بيت الرب، سمع إرميا يتنبأ بهذه الكلمات، فضرب فشحور إرميا النبى، وجعله فى المقطرة. النبوة فى بنى إسرائيل: لم تكن النبوَّة فى بنى إسرائيل حدثا طارئا أو نادرًا فقد يوجد أكثر من نبى فى وقت واحد، فبعد وفاة سيِّدنا سليمان عليه السلام انقسمت دولته مملكتين:

الأولى مملكة إسرائيل فى الشمال وعاصمتها السامرة، وأسسها يارُبْعام الأول بن سليمان.

والثانية مملكة يهوذا، فى الجنوب، وعاصمتها أورشليم، وأسسها رَحَبْعَام بن سليمان.

وفى عهد يوشافاط ملك يهوذا لقى ملك إسرائيل يستشيره فى حرب أرام، فجمع ملك إسرائيل الأنبياء، نحو أربعمائة رجل، وتخلَّف ميخا بن يِمْلة[2].

كان هذا العدد الضخم من الأنبياء هو ما أمكن جمعه فى مملكة واحدة، ولو فرضنا أنَّ المملكة الأخرى كان فيها مثل هذا العدد، يكون مجموع الأنبياء فى وقت واحد أكثر من ثمانمائة نبى، ولَمَّا كانت رقعة الأرض الَّتى تملكها هاتان المملكتان لا تزيد عن مساحة ثلاث محافظات أو أربع من محافظات الأقاليم الحاليَّة فمن المؤكَّد أنَّه لا يوجد بها ثمانمائة مدينة وقرية، ومعنى ذلك أنَّنا قد نصادف فى البلد الواحد نبيين أو ثلاثة، وكثيرا ما يحدث بينهم عراك، ويكذِّب بعضهم بعضاً.

وكان أكثر هؤلاء الأنبياء كذَّابين، ويرد هذا العنوان كثيرا فى الأسفار اليهوديَّة، وصدق نبيهم إرميا فى قوله على لسان الرب:

---

(١) إرميا ٢٠: ١.

(٢) الملوك الأول ٢٢: ٥ ـ ٩.

"١٥لِذَلِكَ هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ عَنِ الأَنْبِيَاءِ: «هَا أَنَا أُطْعِمُهُمْ أَفْسَنْتِيناً وَأَسْقِيهِمْ مَاءً مَسْمُوماً، لأَنَّهُ مِنْ أَنْبِيَاءِ أُورُشَلِيمَ شَاعَ الْكُفْرُ فِي كُلِّ أَرْجَاءِ الأَرْضِ».

١٦«لاَ تَسْمَعُوا لأَقْوَالِ الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَتَنَبَّأُونَ لَكُمْ وَيَخْدَعُونَكُمْ بِالأَوْهَامِ، لأَنَّهُمْ يَنْطِقُونَ بِرُؤَى مُخَيَّلاَتِهِمْ، وَلاَ يَتَكَلَّمُونَ بِمَا أَوْحَى بِهِ فَمِي. ١٧قَائِلِينَ بِإِصْرَارٍ لِمَنْ يَحْتَقِرُونَنِي: قَدْ أَعْلَنَ الرَّبُّ أَنَّ السَّلاَمَ يَسُودُكُمْ وَيُرَدِّدُونَ لِكُلِّ مَنْ يَجْرِي وَرَاءَ أَهْوَاءِ قَلْبِهِ: لَنْ يُصِيبَكُمْ ضَرٌّ. ١٨مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُمْ مَنْ مَثَلَ فِي مَجْلِسِ الرَّبِّ وَرَأَى وَأَنْصَتَ لِكَلِمَتِهِ، وَلاَ مَنْ أَصْغَى لِقَوْلِهِ وَأَطَاعَهُ."[1].

وفى الترجمة القديمة لهذا النص جاءت كلمة النفاق بدلا من كلمة الكفر فى العبارة " شَاعَ الْكُفْرُ فِي كُلِّ أَرْجَاءِ الأَرْضِ ".

وقد ذكر ول ديورانت بعضا من أنواع هؤلاء الأنبياء، منها:

۞ كان بعضهم من المتنبِّئين يقرءون قلوب الناس حاضرهم وماضيهم، ويخبرونهم بمستقبلهم حسبما يتقاضون من أجور.

۞ منهم متعصِّبون متهوِّسون يستثيرون مشاعرهم بالأصوات الموسيقية الغريبة، أو المشروبات القويَّة، أو الرقص، وينطقون فى أثناء غيبوبتهم بعبارات يراها أصحابهم وحيًا، وقد سخر إرميا سخرية لاذعة من كل رجل مجنون ومتنبئ.

۞ ومنهم من هو ناسك نكد كإيليا.

۞ ومنهم كثيرون يعيشون فى مدارس أو أديرة مجاورة للهيكل، وكان لمعظمهم أملاك خاصة وزوجات.

ويعلِّق على هذه الأنواع بقوله "نخطئ أشدَّ الخطأ إذا عددناهم أنبياء بالمعنى المألوف لهذا اللفظ"، وإنَّما هم ـ كما قال ـ: سياسيون ممتازون يسوسون بلادهم فى الخفاء "أشدَّ الناس معارضة للكهنة"، و"ألدَّهم عداء للسامية" ليس لهم علم بالغيب، بل كانوا أشبه الناس بالمعارضين البلغاء فى إحدى الحكومات الدستورية

---

(١) إرميا ٢٣: ١٥ ـ ١٦.

الحديثة، وكانوا ثائرين على الاستغلال الصناعى والخداع الكهنوتى، خرجوا من أحضان الريف الساذج يصبُّون اللعنات على ثراء الحواضر الفاسد[1].

۞ إنَّ من يقرأ سفر إرميا يكاد يغلبه القىْء لهذا الفساد المستشرى فى نفوس اليهود وأخلاقهم شعبا ورجال دين "١١ وَيَقُولُ الرَّبُّ: » النَّبِى وَالْكَاهِنُ كَافِرَانِ، وَفِى بَيْتِى وَجَدْتُ شَرَّهُمَا. ١٢ لِذَلِكَ يُضْحِى طَرِيقُهُمَا مَزَالِقَ لَهُمَا، تُفْضِى بِهِمَا إِلَى الظُّلُمَاتِ الَّتِى يُطْرَدُونَ إِلَيْهَا، وَيَهْوِيانَ فِيهَا لأَنِّى أَجْلِبُ عَلَيْهِمَا شَرّاً فِى سَنَةِ عِقَابِهِمَا». ١٣ فِى أَوْسَاطِ أَنْبِيَاءِ السَّامِرَةِ شَهِدْتُ أُمُوراً كَرِيهَةً، إِذْ تَنَبَّأُوا بِاسْمِ الْبَعْلِ، وَأَضَلُّوا شَعْبِى إِسْرَائِيلَ. ١٤ وَفِى أَوْسَاطِ أَنْبِيَاءِ أُورُشَلِيمَ رَأَيْتُ أُمُوراً مَهُولَةً: يَرْتَكِبُونَ الْفِسْقَ، وَيَسْلُكُونَ فِى الأَكَاذِيبِ، يُشَدِّدُونَ أَيْدِى فَاعِلِى الإِثْمِ لِئَلاَّ يَتُوبَ أَحَدٌ عَنْ شَرِّهِ. صَارُوا جَمِيعاً كَسُكَّانِ سَدُومَ وَأَصْبَحَ أَهْلُهَا كَأَهْلِ عَمُورَةَ. "[2].

بل إنَّ الكهنة والأنبياء لم يكونوا أقلَّ فسادًا من التجَّار، وأنَّهم كالشعب نفسه فى حاجة إلى أنَّ تطهَّر أخلاقهم، أو تصاغ من جديد، فيقول لهم إرميا: " ٣ لأَنَّ هَذَا مَا يَعْلِنُهُ الرَّبُّ لِرِجَالِ يَهُوذَا وَلأَهْلِ أُورُشَلِيمَ: احْرُثُوا لَكُمْ حَرْثاً، وَلاَ تَزْرَعُوا بَيْنَ الأَشْوَاكِ. ٤ اخْتَتِنُوا لِلرَّبِّ، وَأَزِيلُوا قُلَفَ قُلُوبِكُمْ (أى طَهِّرُوا عُقُولَكُمْ وَقُلُوبَكُمْ وَلَيْسَ أَجْسَادَكُمْ فَقَطْ) لِئَلاَّ يَتَفَجَّرَ غَضَبِى كَنَارٍ فَتُحْرِقَ وَلَيْسَ مَنْ يُخْمِدُهَا، مِنْ جَرَّاءِ أَعْمَالِكُمُ الشِّرِّيرَةِ. "[3].

وبمقارنة الصورتين: الصورة الكريمة الَّتى صوَّر بها القرآن الكريم أنبياء الله، والصورة الكريهة الَّتى صوَّرتهم بها الأسفار اليهوديَّة ندرك أنَّ تلك الأسفار حرَّفها اليهود، وبدَّلوا فيها كلمات الله، وصدق الله العظيم؛ فقد دمغ تلك الأسفار بالتبديل والتحريف، وجاء ذلك فى أحد عشر موضعًا من القرآن الكريم، منها قوله تعالى:

---

(١) قصة الحضارة ٢ / ٣٤٩.

(٢) إرميا ٢٣: ١١ ـ ١٤.

(٣) إرميا ٤: ٣ ـ ٤.

﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[2].

بل إنَّ اليهود أنفسهم قد اعترفوا بتحريفهم الأسفار فى أكثر من موضع، من ذلك قول إرميا: ٣٦ أَمَّا ادِّعَاءُ وَحْى الرَّبِّ فَلاَ تَذْكُرُوهُ مِنْ بَعْدُ، فَإِنَّ كَلِمَةَ الْمَرْءِ تَغْدُو وَحْى قَضَائِهِ، إِذْ قَدْ حَرَّفْتُمْ كَلاَمَ الإِلَهِ الْحَى، الرَّبِّ الْقَدِيرِ، إِلَهِنَا .٣٧ لِذَلِكَ هَذَا مَا تَسْأَلُ بِهِ النَّبِيَّ: بِمَاذَا أَجَابَ الرَّبُّ، وَبِمَاذَا تَكَلَّمَ؟» ٣٨ فَإِنِ ادَّعَيْتُمْ وَحْى قَضَاءِ الرَّبِّ، فَهَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ: لأَنَّكُمُ ادَّعَيْتُمْ وَحْى قَضَائِهِ بَعْدَ أَنْ حَظَرْتُهُ عَلَيْكُمْ قَائِلاً: لاَ تَقُولُوا هَذَا وَحْى قَضَائِهِ» ٣٩ لِذَلِكَ هَا أَنَا أَنْسَاكُمْ تَمَاماً، وَأَطْرُدُكُمْ مِنْ مَحْضَرِى أَنْتُمْ وَالْمَدِينَةَ الَّتِى وَهَبْتُهَا لَكُمْ وَلآبَائِكُمْ. ٤٠ وَأُلْحِقُ بِكُمْ عَاراً أَبَدِيّاً وَخِزْياً لاَ يُنْسَى»[3].

من النبوَّة إلى الألوهيَّة

تكاد تجمع كتب التاريخ بعامة، وكتب تاريخ الأديان والعقائد بخاصَّة على أنَّ التطوَّر البشرى بدأ بمعرفة الله الحق، الواحد الأحد الَّذى خلق آدم بيديَّه، وسوَّه فى أجمل صورة، ونفخ فيه من روحه، ووجَّهه إلى عبادته بما أوحى إليه من تعليم وهداية.

مرَّت أزمان وأزمان، وبدأ البشر يعجبون ببطولة رجل، وما يتحلَّى به من صفات القوَّة والبطش، أو يحبون رجلا لما فى طبعه من المودَّة والرحمة وفعل الخيرات، وقد يتَّخذ الإنسان رمزًا لهذا الشخص المحبوب يذكِّره به، ويكون له قدوة ومثالا يحتذى.

---

(١) سورة البقرة ٢: ٥٩.

(٢) سورة البقرة ٢: ٧٩.

(٣) إرميا ٢٣: ٣٦ ـ ٤٠.

ثمَّ تأتى من بعد ذلك أجيال ترى الرمز، ولا تعرف ما يرمز إليه، ولكنَّها تعتاد على تعظيم النَّاس له، فتغلوا فى ذلك التعظيم، وترتفع به إلى درجة العبادة.

وفى التاريخ المصرى القديم نجد نماذج لعلماء ومهندسين أعجب بهم الناس، وعظَّموهم إلى درجة العبادة، وفى تاريخ الأمم القديمة كلها، وبدون استثناء عبد الشعب حكَّامه، وملوكه، والأمثلة على ذلك كثيرة فالقرآن الكريم يحدِّثنا عن "النمرود" الَّذى حاجَّ خليل الرحمن سيِّدنا إبراهيم عليه السلام، وادَّعى أنَّه إله يحيى ويميت، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

ويزعم اليهود أنَّ مدَّعى الألوهيَّة هذا هو نمرود بن كوش بن حام ابن نوح عليه السلام، وكان فى أرض الكلدانيين، فى نواحى بابل، وطرد نمرود سيِّدنا إبراهيم وأتباعه من الموِّحدين إلى ما بين النهرين؛ لأنَّهم لم يعبدوا آلهتهم[2]، ولاحظ نسبة نمرود إلى حام، ومكانه ليس من أماكن نسل حام، ولكنه عدو لجدهم ـ بزعمهم ـ فلا بدَّ أنْ يكون من نسل حام.

ونقرأ فى القرآن الكريم أنَّ فرعون مصر كان يدَّعى الألوهية، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[3].

وكان أباطرة الرومان آلهة يعبدهم أتباعهم، ويبيّن كرنيليوس فنديك كيف نشأت عبادة الأوثان؛ فقد كان الناس فى أوَّل الأمر يعبدون الأجرام السماوية: الشمس والقمر والكواكب السيَّارة، وصنعت طائفة من الناس تماثيل لهذه الأجرام

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٥٨.

(٢) كشف الأباطيل فى عبادة الصور والتماثيل ٧.

(٣) سورة القصص ٢٨: ٣٨.

لكى يوجِّهوا عبادتهم إليها فى وقت غيابها عن أبصارهم، وهم الصابئة، وطائفة أخرى كانت تضرم نارًا تشير بها إلى نور الشمس، وتعبدها نيابة عنها، وهم المجوس، وإذا توفِّى بعض مشاهيرهم من الرجال أو النساء جعلوا لهم مواسم وأعيادًا تذكرةً لهم، وبعد قليل تحوَّلت التذكرة إلى عبادة، وتحوَّلوا إلى آلهة؛ وهكذا تكاثرت معبودات الناس، وتنوَّعت.

وكانت التماثيل بسيطة جدًّا فى أوَّل أمرها مثل قطعة من خشب، أو قائمة من حجارة أو معدن بدون عمل أو نقش، أو رسم خاص؛ لأنَّهم لم يستطيعوا أنْ يتصوَّرُوا هيئة معينة لله، ولا للأجرام الَّتى كانوا يعبدونها، وأمَّا البشر الذين جعلوهم آلهة فقد صنعوا لهم تماثيل على هيئة حيوانات متصفة ببعض صفات الأشخاص كهيئة الأسد للشجاع، وهيئة الحيَّة للحكيم، والثعلب للمحتال...[1].

ولمَّا كان الأنبياء ـ رضوان الله عليهم جميعا ـ أشخاصًا ممتازين من البشر، فإنَّ أتباعم أحبُّوهم، وعظَّموهم، ثمَّ خَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ غالوا فى تعظيمهم حتَّى رفوعهم إلى مكانة سامية، فوق مكانة البشر العاديين، وأوصلوهم إلى درجة تجعلهم أبناء الله أولا، ثم جعلوهم آلهة وكان الغلو هو الطريق الَّذى سلكه اليهود والنصارى؛ فجعلوا الأنبياء أبناء الله أولا، ثم جعلوا بعضهم آلهة ثانيًا، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2].

مرض الثالوث المسيحى

إنَّ الثالوث فى الفكر المسيحى حالة مرضية مزمنة، بنيت على أساس باطل، وحيثما وجَّهت نظرك فى فكرهم وجدت الثالوث، وقد مرَّ بنا قول الأنبا شنودة " إنَّ الإنسان بذاته، وبعقله، وبروحه كائن واحد" فجعل الإنسان يتركَّب من ثلاثة عناصر، والعجيب فى تفكير هذا الرجل وأمثاله من المثلِّثين أنَّه يرد الكثير إلى ثلاثة

---

(١) كشف الأباطيل فى عبادة الصور والتماثيل ٨، و٩.

(٢) سورة المائدة ٥: ٧٧ ـ ١.

فقط، انظر إلى قوله: "يعقوب ويوسى وسالومة هؤلاء: أبناء مريم زوجة كلوبا " فذكر ثلاثة أسماء فقط بالرغم من أنَّ المتن فى بشارة متَّى يذكر أربعة أسماء "أليست أمُّه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا ؟ "[1].

والأصل فى المثال الَّذى ضربه نيافة الأنبا هو مفهوم الإنسان عند أفلاطون الَّذى كان يرى أنَّ الإنسان يتكوَّن من ثلاثة عناصر، هى:

الجسد (soma)، والنفس (psyche)، والروح العاقلة (preuma)[2].

ورأى أفلاطون هذا ليس له أيَّة قيمة علميَّة؛ لأنَّ المتفق عليه أنَّ الإنسان عنصران اثنان فقط: جسم، وروح، ولا شىء آخر، فإذا كان الأنبا شنودة زاد عليهما "العقل"؛ فالحقيقة أنَّ العقل وظيفة المخ، كما أنَّ المشى وظيفة الرِّجْل، والسمع وظيفة الأذن، والبصر وظيفة العين... وليس العقل عنصرا يضاف إلى مكونَّات الإنسان، وإلاَّ لو أضفنا إلى كل عضو وظيفته لأصبحت مكونات الإنسان مئات العناصر.

والأسقف أبولوناريوس اللاذقى استفاد من نظريَّة أفلاطون لكى يحل بها المشكلة اللاهوتيَّة الَّتى كانت تمزِّق الكنيسة، فزعم أنَّ المسيح يتكوَّن من ثلاثة عناصر، هى: الجسد، والنفس، واللوغوس؛ فالَّذِى يحرِّك الجسد هو طاقة حيويَّة عاقلة فيه، واللوغوس "الكلمة" حلَّ فى المسيح محلَّ الروح (ame)[3].

لاحظ أنَّ الأسقف جمع عنصرى أفلاطون "النفس والروح العاقلة" وجعلهما عنصرًا واحدًا، وأضاف اللوغوس؛ لتظلَّ العناصر ثلاثة بعد دمج العنصرين السابقين.

ولا يعنينا الجدل العقيم الَّذى جعل أبولوناريوس يرفض وجود روح عاقلة فى المسيح لارتباط الروح البشريَّة بالخطيئة الَّتى تمنع المسيح من الوصول إلى درجة

---

(١) راجع الفصل السابق ص ٢٣٧.

(٢) تاريخ الفكر المسيحى ١ / ٦٦٨.

(٣) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

القداسة الكاملة، فوجب تجريده منها لتحل محلَّها الكلمة أو اللوغوس أو ابن الله الَّذى أخذ جسدًا حلَّ محلَّ هذه الروح العاقلة[1].

وبلغ من ولع المسيحيين بالتثليث أنْ جعل عَبَدَةُ الصور منهم ـ وهم ثلثا المسيحيين[2] ـ مقدَّساتهم ثلاث طبقات، وعبادتهم ثلاثة أنواع؛ فطبقات فمعبوداتهم:

الطبقة الأولى: صور المخلِّص والصليب، ومكانها على اليمين.

والطبقة الثانية: صورة العذراء المباركة.

والطبقة الثالثة: صور القدِّيسين.

وأمَّا عبادتهم فثلاثة أنواع، وهى:

اللاتريًا: وهى أعلاها، ولا تقدَّم إلاَّ للمخلص والصليب.

أيبرضوليا: أوسط العبادات، وهى عبادة العذراء وحدها.

ضوليا: وهى عبادة القديسين، وهى أدون أنواع العبادة[3].

ونحن نستطيع أنْ نفهم وجهة نظرهم فى جعل إلههم ثلاثة أقانيم، وفى جعل المسيح ثلاثة عناصر، وفى جعل المعبودات ثلاث طبقات، وفى جعل العبادة ثلاثة أنواع، يمكننا أنْ نفهم وجهة نظرهم هذه، مع بطلانها جميعا عقلاً ودينًا وتاريخًا، ولكن الأمر الَّذى لا يمكن قبوله هو التناقض الفاضح فى حديثهم عن المسيح، وإجماع رأيهم فيه، اقرأ هذه العبارة: "إنَّ يسوع الناصرى قبل أنْ يكون يسوع الناصرى هو المسيح، ابن الله، بل هو الله نفسه "[4].

ونسأل صاحبنا المسيحى إنَّ جارى اسمه جورج، متزوّج من امرأة اسمها تريزة، وأنجب منها ولدًا سمَّاه صموئيل؛ وإذن فهل يمكننا أنْ نقول إنَّ صموئيل بن

---

(١) راجع ذلك الجدل الغبى فى تاريخ الفكر المسيحى ١ / ٦٦٩.

(٢) كشف الأباطيل فى عبادة الصور والتماثيل ٥.

(٣) المصدر السابق ٢٥.

(٤) تاريخ الفكر المسيحى ١ / ١٦٣.

جورج بل هو جورج نفسه؟ وهل ترى فرقًا بين هذه الجملة وبين قولك: المسيح بن الله بل هو الله نفسه؟ فإنْ لم تجد فرقًا بين الجملتين فكيف يكون الابن هو الأب فى نفس الوقت؟ وإنْ وجدت فرقًا بينهما فما ذلك الفرق أثابكم الرب؟

أنا أعرف الجواب، وأعرف لعبة "النَّاسوت واللاَّهوت" الَّتى تستعملونها لحل جميع المعضلات الَّتى تعترض العقل، ولكنَّنى سأوضِّح لك الفرق بين الجملتين، وهو فرق بسيط للغاية، إنَّه الفرق بين إيماننا وإيمانكم، وبين عقول البشر وعقولكم، فأنتم تردِّدون بلا كلل ولا ملل قول قدِّيسكم أنسلم أسقف كانتربرى (Anselm de Canterbury ١١٠٩-١٠٣٣) قال: "أؤمن لكى أفهم، ولست أفهم لكى أؤمن"[١] وأنتم تزعمون إنَّ إيمانكم لا تستمدونه من أقوال العلماء والمؤرخين مع اعترافكم بأهميَّة ما يقوله العلماء والمؤرخون، وإنَّما تستمدونه مباشرة من شخص المسيح الصخرة الحقيقية[٢] أى الإيمان الَّذى يلغى العقل والتفكير، أى الإيمان الَّذى يأتى إلهامًا مباشرًا؛ هذا هو إيمانكم الَّذى يدير ظهره للمنطق وللعقل وللتاريخ ولكل مصادر المعرفة الإنسانية.

وأمَّا إيماننا فشىْء آخر تماما، وسأشرح لك إيماننا، والأساس الَّذى يبنى عليه ذلك الإيمان ألست أذكر الكتاب الَّذى قرأت فيه يومًا تعريف الإمام محمد عبده ـ رحمه الله ـ لمفهوم المسلم المؤمن، فقد مضى وقت طويل على قراءته، فقد سُئِل الإمام: إذا وُجَدَ رجل:

- آمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.
- وشهد بأنَّه لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وبأنَّ محمَّدًا عبد الله ورسوله، وخاتم أنبيائه.
- ويقيم الصلاة؛ فيؤدّى الفرائض المكتوبة، ويتنفَّل.
- ويؤتى الزكاة المفروضة، ويتصدَّق.

---

(١) تاريخ الفكر الحر ١٠، وتاريخ الفكر المسيحى ١ / ١٦٣.
(٢) تاريخ الفكر المسيحى ١ / ١٦٩.

۞ ويصوم رمضان، ويتطوَّع.

۞ ويحج البيت الحرام، ويعتمر.

۞ ويَسْلَمُ الناس من لسانه ويده، ويتحلَّى بجميع أخلاق المؤمن الكريم وصفاته الطيِّبة، ويعامل الناس معاملة حسنة...

إذا اجتمعت كل هذه الأمور فى رجل أيكون هو المسلم الحق ؟

قال الإمام محمد عبده: لا، حتَّى يكون إيمانه، وخُلُقُه، وسلوكه عن قناعة تامَّة، وعقيدة صحيحة، لا تقليدًا وعادة، ولا رياء وتظاهرًا.

هذا هو إيماننا، وهذا هو الفرق بيننا وبينكم.

لست أعرف كيف تستوعب عقولكم جملة المتناقضات الَّتى تصفون بها ربَّكم، فهو الصخرة، وهو ابن الإنسان، وهو ابن الله، وهو الله...

ثار جدل بين المسيحيين نتيجة للقرار الَّذى اتخذه المجتمعون فى المجمع الكنسى الأول فى نيقة سنة ٣٢٥م، حول طبيعة العلاقة بين الابن والآب، وقبل أنْ نبيَّن أطراف هذا النِّزاع نثبت هنا نصَّ القرار الَّذى وافق عليه المجتمعون بعد نقاش طويل، فقد جاء فيه: " نؤمن بإله واحد آب ضابط الكل، خالق كلِّ شىْء، ما يُرى وما لا يُرَى، وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله المولود من الآب، المولود الوحيد، أى من جوهر الآب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو للآب فى الجوهر، الَّذى كان به كل شىْء فى السماء وعلى الأرض الَّذى من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل، وتجسَّد، وتأنَّس، وتألَّم، وقام أيضًا فى اليوم الثالث، وصعد إلى السَّماء وسيأتى من هناك ليدين الأحياء والأموات، وبالروح القدس.

وأمَّا الَّذين يقولون: إنَّه كان زمان لم يوجد فيه، وإنَّه لم يكن له وجود قبل أنْ ولد، وأنَّه خُلِقَ من العدم، أو أنَّه من مادّة أخرى، أو جوهر آخر، أو إنَّ ابن الله مخلوق، أو إنَّه قابل التغيير، أو متغيّر فهم ملعونون من الكنيسة الجامعة الرسوليَّة "[1].

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى ١ / ٦٣١.

لا أعرف فرقًا بين كلمتى "الله، والرب"، أو هكذا نحن المسلمين لا نفرِّق بين اللفظين؛ فربنا هو الله، وانظر كيف يفرِّقون بين اللفظين، ولا أعرف على أىِّ أساس هذه التفرقة، فالآب إله والمسيح رب، ولاحظ أنَّ قرار المجمع ذكر أنَّهم:

يؤمنون بإله واحد هو الآب، وبيَّن القرار صفاته.

ويؤمنون برب واحد هو يسوع المسيح، وبيَّن القرار صفاته.

ويؤمنون بالروح القدس، ولم يبيِّن القرار صفاته.

وفى الوقت نفسه ليس فى القرار جمع بين الثلاثة فى إله واحد.

وكان لا بدَّ من أنْ يثار جدل طويل حول هذا القرار، ونقاط الضعف فيه كثيرة، منها:

۞ إذا كان الله خالق كلِّ شىْء، ما يُرى وما لا يُرَى، فما معنى أنَّ المسيح كان به كل شىْء فى السماء وعلى الأرض؟

۞ كيف يكون ابن الله المولود من الآب، وفى الوقت نفسه هو مولود غير مخلوق؟

۞ وإذا كان مولودًا فكيف كان له وجود قبل أنْ يولد، وهل وجد المولود مع الآب أو بعده؟ وهل وُجِدَ المولود والآب فى وقت واحد قديم أزلى؟ وإذا كان وجودهما فى وقت واحد قديم أزلى فما الأساس الَّذى فرَّقوا به بينهما، فجعلوا أحدهما والدًا والآخر ولدًا، أو آبًا وابنًا؟

قلت: ثار جدل بينَّ المسيحيين حول هذا القرار؛ فقد رأى الآريوسيون المتطرفون، والآريوسيون المعتدلون أنَّ الابن له بداءة، فهو مخلوق مثل باقى الخلائق، وهو ليس من جوهر الآب بل هو من جوهر يشبهه، "وهذا التشابه الموجود بين الآب والابن هو بحسب إرادة الآب لأنَّه إذا كان الابن أزليًّا كما يعتقد الأرثوذكس فهذا يعنى أنَّه هو نفسه أصل وعلَّة وجوده؛ وبناء على ذلك فهو ليس من نفس الجوهر الَّذى منه الله الآب بل من جوهر يشعُّه هذا الجوهر، ولقد اعترض

الَّذين لا يقبلون أزليَّة الابن بالقول: إذا كان الابن مولودًا فهو غير أزلى، وإذا كان أزليًّا فهو غير مولود؛ وبناء على ذلك فقد رأوا أنَّ قانون الإيمان النيقوى غير معقول، ويجب تصحيحه[1].

وبطبيعة الحال لم يصل الجدل الدائر بينهم إلى حل يرضى جميع الطوائف؛ وذلك راجع إلى أنَّ الموضوع بالغ الصعوبة والتعقيد، ومن المستحيل أنْ يصل الإنسان بفكره وعقله إلى شيْء فيه:

- فما حضر أحد من الناس مولد يسوع من الآب.
- وما شهد أحد من الناس أزليَّة الابن مع الآب.
- ولم يأت بهذا خبر صحيح من عند الله فى كتاب أو على لسان نبى.
- بل ليس هناك أصلاً ابن وآب، وإنَّما هو إله واحد: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2]..

وبسبب هذا الجدل العقيم كثرت المجامع، وتعدَّدت لتدور كلها فى الإطار نفسه، وبعد كل مجمع منها تزيد الفرقة والشتات، ويكثر الكفر والوثنيَّة، والبعد عن الرسالة العيسويَّة النقية، فمن تلك المجامع:

- عقد مجمع فى أنقرة فى سنة ٣٥٧م سيطر عليه أنصاف الآريوسيين وعملوا على أن ستبدلوا بالاصطلاح النيقوى المتفق عليه "مساو للآب فى الجوهر" الاصطلاح "مشابه للآب فى الجوهر"، وهو ما رفضه الآريوسيُّون المتطرفون والأرثوذكس على السواء، وزادات الفجوة اتساعا بين الفرق المتصارعة على السراب، وأصبح الانقسام يهدد سلامة الإمبراطورية.

- ولمَّا كان الأمر يمس استقرار الدولة وأمنها فقد دعا الإمبراطور قسطنديوس إلى عقد مجمعين منعزلين فى وقت واحد، فى سنة ٣٥٩م:

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى ١ / ٦٥٧.

(٢) سورة التوبة ٩: ٣١.

ـ مجمع فى الشرق، فى مدينة سِلْفكيا التركية، ويتنافس فيه المجتمعون باللغة اليونانية، وحضره ١٥٠ أسقف من الشرق.

ـ مجمع فى الغرب، فى مدينة ريمينه الإيطالية، ويتنافس فيه المجتمعون باللغة اللاتينية، وحضره ٤٠٠ أسقف من الغرب.

قدَّم مرقس ـ أسقف أرسوز ـ ما عرف باسم "قانون الإيمان المؤرَّخ" ونص فيه على أنْ تستبدل بعبارة "مساو للآب فى الجوهر" عبارة "مشابه للآب فى الجوهر"، كما أنَّه أقرَّ بأنَّ الابن مولود قبل الدهور !!! وأشار القانون لأوَّل مرَّة إلى نزول المسيح إلى الجحيم.

أصر مجمع سلفكيا على رفض هذا القانون، بينما أُرْغِمَ معظم أعضاء مجمع ريمينه على قبوله، ثم دعا ممثل الإمبراطور أعضاء المجمعين وأرغمهم جميعا على التوقيع عليه فى أوَّل يناير سنة ٣٦٠ م[١].

✿ عقد مجمع فى القسطنطينية فى سنة ٣٨١م للبتّ فى الأمور العقائديَّة الَّتى كانت تشغل أذهان الكثيرين، دعا إلى هذا المجمع الإمبراطور ثيودوسيوس وحضره نحو خمسين ومائة أسقف، وفى هذا المجمع قُبِل قانون الإيمان النيقوى بعد أنْ أُدْخِلَتْ عليه بعض التعديلات الجديدة، كان أهمها الفقرات الأخيرة الَّتى تنص على الإيمان "بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب الَّذى هو مع الآب والابن، مسجود له وممجد، الناطق بالأنبياء وبكنيسة واحدة جامعة مقدَّسة رسوليَّة، ونعترف بمعموديَّة واحدة لمغفرة الخطايا، ونترجَّى قيامة الموتى والحياة فى الدهر العتيد "[٢].

وبعد أنْ تمَّ تأليه الروح القدس فى هذا المجمع كان من الواجب تحديد مسئوليَّات كل إله من الآلهة الثالثة:

❁ فالآب يبدو أنَّه تعب، وتقاعد بعد أنْ خلق كل ما يُرَى وما لا يُرَى.

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى ١ / ٦٥٧.

(٢) تاريخ الفكر المسيحى ١ / ٦٦٥.

❁ والابن الَّذى يجلس على يمين الآب يدين الأحياء والأموات.

❁ والروح القدس هو المحيى، وهو الناطق بالأنبياء وبكنيسة واحدة.

✿ ثمَّ يأتى مجمع توليدو فى إسبانيا فى سنة ٣٨٩م ليزيد الطين بلَّة، ولا يقنع بانبثاق الروح القدس من الآب وحده بل جعله ينبثق من الابن أيضا[1].

وبعد تأليه الأنبياء تطوَّرت العقيدة المسيحيَّة مع الزمن فبدأت بتأليه أمهات الأنبياء؛ فأُلِّهت مريم العذراء فى مجمع أفسس، ثمَّ ثنَّت بتأليه البابوات فى مجمع الفاتيكان الأول، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله.

---

(١) المصدر السابق ١ / ٦٦٦.